

مراتب الوجود

المهندس
عبد
الرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. للحقّ سبيلٌ واحد ، هو منهج الله تعالى :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ﴾

ذَلِكُمْ وَصَدَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [الأنعام : 153]

.. فكلُّ مقدّمات التيه ، ناتجة عن اتّباع سبُل الأهواء والعصبيّات التي ما أنزل الله تعالى بها من سلطان .. وبعد الغرق في ظلمات نتائج هذه السبل الضالّة ، تستيقن الأنفس المظلمة هذه النتائج ، فتجعلها معياراً ومنظراً لا ترى إلّا من خلاله ..

.. سنتناول في هذا البحث مسألة (مراتب الوجود) ، وهي مسألة عقديّة هامّة ، لا بدّ من إدراكها لفهم الكثير من المسائل المحمّولة في كتاب الله تعالى .. وقد تاه الكثيرون في أنفاق أهوائهم وظلماتها نتيجة عدم إدراكهم لهذه المراتب ، وللحدود الفاصلة بينها ..

.. الوجود المطلق ، هو وجود الموجد ((الله)) سبحانه وتعالى ، فهو وجود ذاتي ، ولهذا الوجود صفات ذاتيّة مطلقة غير مكتسبة وغير متحوّلة ولا تخضع لأيّ مقياس .. فالمقاييس التي نقيس بها موجودات عالم الخلق الحسي هي مقاييس مخلوقة ونسبيّة ، لا تصلح إلّا لقياس الأشياء المخلوقة ، ولا يمكنها أبداً قياس صفات الخالق سبحانه وتعالى ..

فالصفات الإلهية هي خصائص ونعوت تتصف بها الذات الإلهية ، وهي قائمة بوجودها في وجود الذات وترتبط بالذات ، وهي ليست بشيء وجوده زائد على وجود الذات ، فهي ليست أعياناً منفصلة عن الذات ، وليست خاضعة للقوانين ، وليست هي القوانين التي ندركها بعلومنا .. إنها فاعلية قائمة بالذات الإلهية ، كلُّ ما ندركه - نحن المخلوقات - هو آثارها التي تقع تحت حواسنا .. فتكامل الصفات الإلهية وتضامنها ، ومن آثارها ، تتكوّن الكائنات الموجودة في عالمي (الخلق ، والأمر) ..

.. ولو كانت صفاتُ الله تعالى عينَ الذات ، أو منفصلةً عن الذات ، كما أتت - في كتاب الله تعالى - وصفاً مستقلاً معرفاً بأل التعريف لهذه الذات .. صحيحٌ أنه لا يُوجد ترادف بين أسماء الصفات للذات الإلهية في القرآن الكريم ، فلكل اسم صفة خصوصيته الخاصة به ، ولكونها من حيث التزامها مع بعضها بعضاً ، هي متكاملة متعاضدة متوحّدة ، ولا يُوجد لها أيُّ استقلالٍ عن الذات .. فلو كانت مستقلةً عن الذات التي تصفها (الله سبحانه وتعالى) لكانت مرتبطةً بذواتٍ أخرى ، أو لكانت ذوات مستقلةً بذاتها ..

فصفات الله تعالى لا يُوجد بينها فاصلٌ من المكان والزمان ، وما يتخيّله البشر من تفريقٍ بينها هو نتيجة انصياعهم لقوانين المكان والزمان ، وقياس ذلك على الذات الإلهية وصفاتها ..

.. جميع أسماء الصفات لله تعالى ترجع إلى اسمه تعالى : ﴿ اللهُ ﴾ ، وتكون صفةً له ، واسم الجلالة : ﴿ اللهُ ﴾ لم يرد صفةً لأيِّ اسمٍ منها ، فجميع أسماء الصفات هي نعوت له جلّ وعلا .. إن جميع الأسماء الحسنى هي اسم الله تعالى ، والله تعالى ليس اسماً لأيِّ منها .. ولذلك .. نرى أن كلمة : ﴿ اسْمٌ ﴾ في القرآن الكريم تأتي مضافةً لكلمة : ﴿ اللهُ ﴾ وكلمة : ﴿ رَبِّ ﴾ ، ولم تأت مضافةً لأيِّ اسم صفة لله تعالى ..

.. ولما كانت الصفات مُتعلِّقةً بالذات ، وكانت الأفعالُ آثاراً للصفات ، والله تعالى ليس كمثله شيء في ذاته .. لذلك .. فالله تعالى ليس كمثله شيء في صفاته ، وليس كمثله شيء في أفعاله ..

.. علاقة الذات الإلهية بصفاتهما هي علاقة موصوف بصفات تصفه ، وعلاقة الصفات الإلهية بالكائنات هي علاقة المؤثر بالآثر .. فالصفات الإلهية ، لازمة عن وجود الذات الإلهية ، والكائنات هي آثارٌ ناجمة عن فاعلية الصفات الإلهية في هذا العالم الحادث .. فكلُّ طاقة وفعل وحركة موجودة في الكائنات ، هي أثرٌ للصفات الإلهية ..

.. ويجب ألا يفهم من علاقة الصفات الإلهية بالآثر أن هذه الصفات تدرج في الكائنات .. فالفاصل بين الصفات الإلهية والآثر (الفعل) هو ذاته الفاصل بين صفة الخالق المطلقة لله تعالى وبين المخلوق .. كلُّ ما يمكن إدراكه هو آثار صفات الله تعالى .. فكنه الذات الإلهية لا يُدركها العقل ، لأنها أبعده ولا يُمكن أن يُدرك المبدع حقيقة المبدع ، ولأنها فوق الحسّ والمادّة فلا يُحيطُ بها الحس ، ولا تُدركها البصيرة لأن البصيرة فيضٌ من نورها ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام : 103] ..

فالذات الإلهية وصفاتهما مُطلقة ، وما عداها نسبي ..

.. إدراكنا لحقائق الأشياء يتوقّف على قدراتنا الإدراكية ، وعلى حدود الأشياء المدركة ، أمّا بالنسبة للذات الإلهية ، فلا سبيل لإدراكها ، فلا قدراتنا تتحمّل ذلك ، ولا الذات الإلهية لها حدود .. إننا نستدلُّ على الذات الإلهية عبر تفاعلنا مع آثار صفاتها ، هذه الصفات التي ليست كينونةً للذات بنفسها ، وليست مستقلةً عنها .. إنها نعوتٌ للذات ... والذات الإلهية وصفاتهما لا تخضع للأفعال ، فكلُّ ما يخضع للأفعال لا ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتهما ، كون الأفعال هي نتاج صفات الله تعالى ، لا العكس ..

.. إذا .. المرتبة الأولى للوجود هي : الذات الإلهية وصفاتهما ، وكلُّ ما هو دونها ، لا

يرتقي إلى درجتها ، ويكون خاضعاً لربوبيّتها ..

.. هناك مرتبة من الوجود ، أدنى من الذات الإلهية وصفاتها ، وأعلى من مرتبة عالم الخلق .. هذه المرتبة هي : عالم الأمر .. فموجودات عالم الأمر تخضع لأفعال الله تعالى ، ولربوبيته جلّ وعلا ، وبالتالي يستحيل أن تكون بمرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. ومن جهة أخرى ، نرى أنّ موجودات عالم الأمر لا تخضع لقوانين عالم الخلق ، ولا تحتل المتناقضات كما هو حال مخلوقات عالم الخلق ، لذلك فهي أعلى مرتبة من عالم الخلق ..
.. جبريل عليه السلام ، يُسمّى بالروح الأمين :

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

[الشعراء : 193 - 195]

.. و ﴿ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ نراه قد خضع للفعل ﴿ نَزَلَ ﴾ ، وهذا ينفي نفيًا قاطعاً كونه منتمياً لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم :

[17]

.. فما نراه أنّ الروح ﴿ رُوحَنَا ﴾ قد خضع لفعل الإرسال الذي فاعله الله تعالى

﴿ فَأَرْسَلْنَا ﴾ ، وأنه تمثّل في عالمنا المخلوق بصورة بشر ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ..

وكل ذلك ينفي نفيًا قاطعاً أن يكون الروح منتمياً لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ..

وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى التالي ، حيث الروح يخضع لفعل الإلقاء ﴿ يُلْقَى ﴾ :

﴿ يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ [غافر: 15]

.. وكيف من الممكن أن يكون الروح من مرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، وهو يعرج -

كالملائكة - إلى الله تعالى :

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج

[4 :

.. والقرآن الكريم يُوصَف بالروح :

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيْمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى : 52]

.. وقد خضع القرآن الكريم لأفعال الله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة : 185]

﴿ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ﴾ [المائدة : 185]

﴿ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف : 3]

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر : 87]

﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : 82]

﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء : 106]

﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ [طه : 2]

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزحرف : 3]

﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ

فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : 16 - 19]

.. ومما يُثبت أن القرآن الكريم يستحيل انتماؤه لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، هو أنه

محتوى في لوح محفوظ :

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢﴾ ﴾ [البروج : 21 - 22]

.. فهل من الممكن لعقل أن يتخيل - مجرد تخيل - أن ما ينتمي لمرتبة الذات الإلهية

وصفاتها ، محتوى في لوح محفوظ !!!؟ ..

مراتب الوجود المهندس عدنان الرفاعي 6

.. وعالم الأمر ، وجودٌ يتعلّق بصفات الله تعالى من جهة ، وله آثارٌ في عالم المادّة المتغيّر من جهةٍ أخرى ، وهو وجودٌ غير محكوم لقوانين المكان والزمان ، وهذا لا يعني أنّه مُوجد المكان والزمان وحاكهما ..

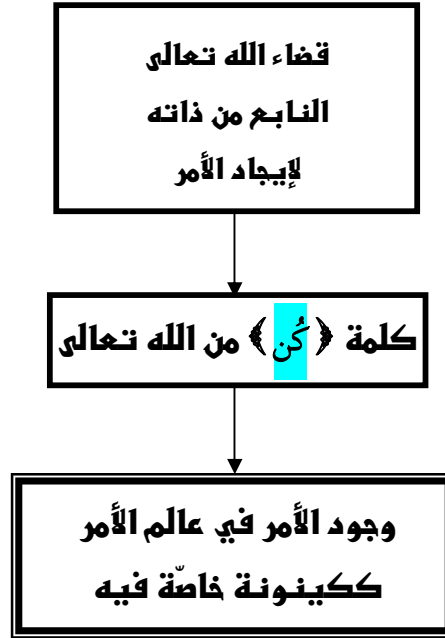
.. كلمة «أمر» هي صيغة مصدر ، وبالتالي ، شاملة لكلّ معاني الجذر اللغوي (أ ، م ، ر) .. وما نراه في كتاب الله تعالى ، أنّ الأمر يتمّ قضاءً وجوده من الله تعالى ، أولاً .. وبعد ذلك .. يأخذ هذا الأمر كينونته المستقلّة بكلمة «كُن» من الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : 117]

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : 47]

﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم : 35]

﴿ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر : 68]



.. إذا .. هناك قضاء نابع من ذات الله تعالى لإيجاد الأمر .. بعد ذلك .. يتلقى الأمر من الله تعالى كلمة «كُن» .. بعد ذلك .. يكون الأمر كياناً مفعولاً في مرتبته ... فالله تعالى غالبٌ على أمره ، كون أمره مفعولاً لفعله جلّ وعلا :

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : 35]

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : 21]

.. إذا .. «أمر الله» له كينونته المستقلة في عالمه ، ويخضع لفعل الله تعالى ، حيث يتم

إنزاله إلى عالمنا : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَى كُمْ ﴾ [الطلاق : 5] ..

.. وانتماء الروح لمرتبة عالم الأمر ، نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

[الإسراء : 85]

.. فالعبارة : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ هي إجابة على السؤال : ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ ﴾ ، وهي بمعنى : الروح ينتمي لعالم الأمر .. وكون الروح منتماً لعالم الأمر ،

دون مرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، يقتضي أنه خاضع لربوبية الله تعالى : ﴿ رَبِّي ﴾ ...

وهذا ما يتأكد معنا في قوله تعالى :

﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر : 4]

فإضافة لتعلق الروح بالفعل ﴿ تَنْزِيلُ ﴾ ، نرى أن الضمير في كلمة ﴿ رَبِّهِمْ ﴾ يعود إلى

﴿ الْمَلَكِ وَالرُّوحِ ﴾ .. فما نراه أن ﴿ الْمَلَكِ ﴾ من مرتبة عالم الخلق غير المحسوس ،

كما سنرى إن شاء الله تعالى ، و ﴿ وَالرُّوحِ ﴾ من مرتبة عالم الأمر .. كلاهما يخضع

لربوبية الله تعالى ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ..

مراتب الوجود المهندس عدنان الرفاعي 8

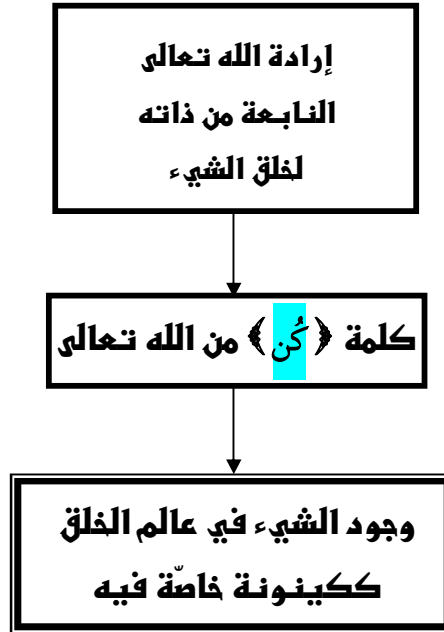
.. إذاً .. الموجود في عالم الأمر ، تمّ قضاء وجوده من الله تعالى ، بعد ذلك ، تلقى من الله تعالى كلمة «كُن» ، بعد ذلك ، أصبح موجوداً وخاضعاً لأفعال الله تعالى ولربوبيّة الله تعالى .. فموجودات عالم الأمر ، هي في مرتبة مستقلة ، وأدنى من مرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. وتتعلّق تعلقاً بصفات الله تعالى ..

والمرتبة الثالثة ، هي عالم الخلق .. وينقسم إلى وجود مخلوق غير محسوس ، كأنفسنا ، وكالملائكة ، وعالم الجن .. وإلى وجود مخلوق محسوس ، كأجسامنا وكل ما يحيط بنا من مادّة ..

ومخلوقات عالم الخلق (الأشياء) ، تُخلق في هذا العالم المخلوق أيضاً بكلمة «كُن» من الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل : 40]

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : 82]



.. إذا .. للوجود ثلاث مراتب :

- 1 - الذات الإلهية وصفاتها : وهو وجودٌ مطلقٌ غير محكوم للمكان والزمان ، وهو حاكمٌ للمكان والزمان .. وإليه تعود كلُّ الموجودات والمخلوقات الأخرى ..
- 2 - عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) : وهو وجودٌ غير محكوم للمكان والزمان .. ولكنه ليس حاكماً للمكان والزمان .. وهذا الوجود يتعلّق بصفات الله تعالى مباشرةً .. وفي ساحة هذا الوجود لا تجتمع المتناقضات ..

3 - عالم الخلق : ويتكوّن من مرتبتين :

أ - وجود مخلوق غير محسوس (كالنفس البشريّة) : وهذا الوجود على الرغم من أنّه متحرّرٌ من قانون المكان والزمان (أي ينتمي إلى عالم ما فوق المادّة والمكان والزمان) ، إلاّ أنّه يخضع لقوانين المكان والزمان حينما يُوطّر بجزئيات المادّة في عالم الحسّ ، كالنفس البشرية حينما تكون داخل الجسم ..

ب - وجود مخلوق محسوس (عالم المادّة التي تنتمي إليه أجسامنا) : وهو وجود محكوم لقوانين المكان والزمان ..

وعالم الخلق ، وعالم الأمر ، يعودان لله تعالى ..

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : 54]

فالله تعالى هو الذي أوجد عالم الأمر الذي يتعلّق بصفاته مباشرةً ، وهو الذي خلق عالم الخلق الذي يحتاج في كل لحظة لله تعالى ، حيث يُعطيه الله تعالى حيثيات وجوده ..

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ

أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : 42]

.. وإمسك السماوات والأرض (جسد عالم الخلق) من الزوال ، يكون بواسطة أمر

الله تعالى (عبر عالم الأمر) ..

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ [الروم : 25]

.. فقيام السماوات والأرض في عالم الخلق ، ككينونة مخلوقة ، حيث يُمسك الله تعالى السموات والأرض (جسد عالم الخلق) في كل لحظة من الزوال ، يكون من خلال أمر الله تعالى بذلك ، عبر عالم الأمر : ﴿ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ ..
.. وقد بينت في بحث (الرحمن على العرش استوى) أن الإطار الحامل لعالم الأمر هو (العرش) ، فحال الاستواء على العرش ، هو تدبير الأمر لإدارة شؤون عالم الخلق :

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ [يونس : 3]

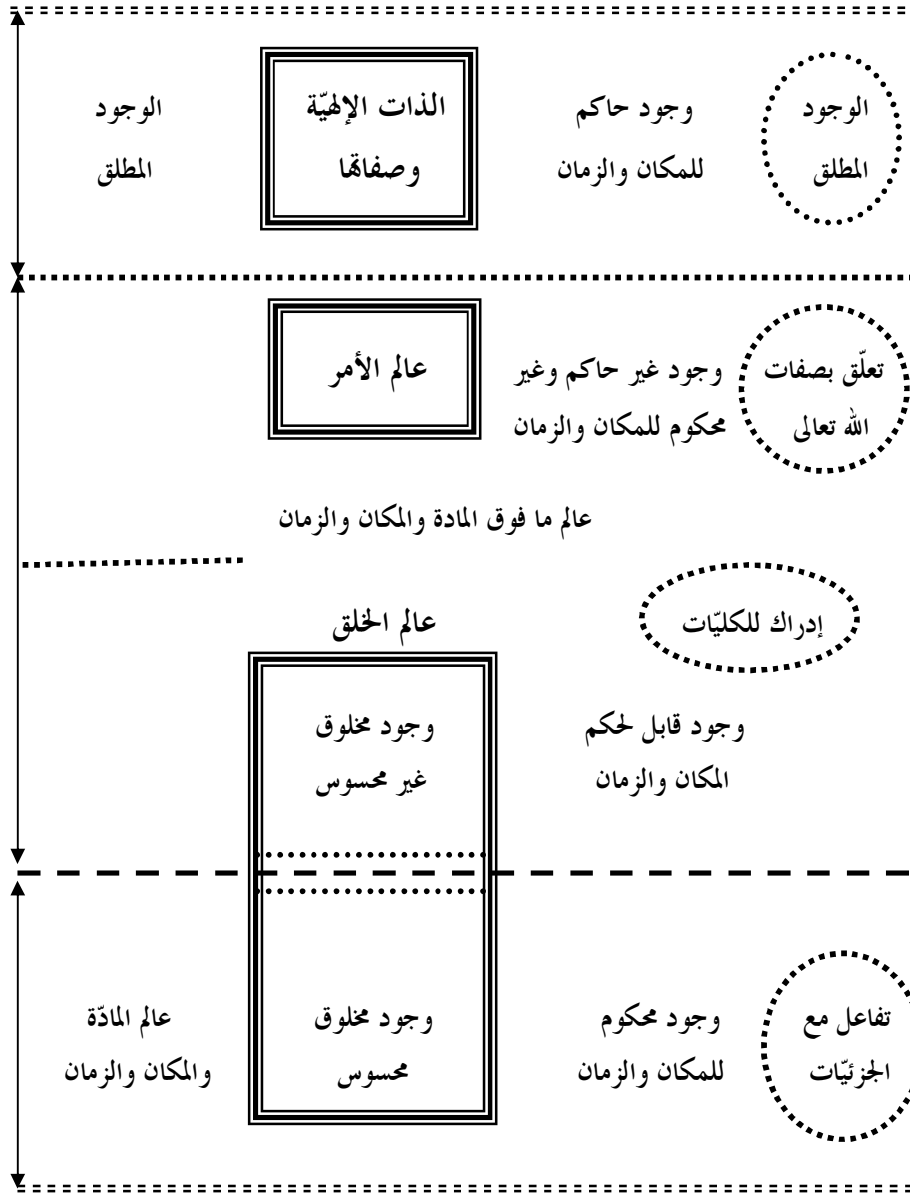
فما نراه أن جملة : ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ ﴾ ، حالية ، تحمل دلالة تدبير الأمر كحال للاستواء على العرش .. وقد فصلت (وبالأدلة الدامغة) أن العرش هو الإطار الحامل لعالم الأمر ..
وبينت أيضاً ، أن الكرسي هو الإطار الحامل لعالم الخلق (السماوات والأرض) ..

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة : 255]

.. ومن الخطأ الكبير النظر إلى موجودات عالم الأمر ، من منظار الزمان والمكان الذي يحكمنا ككائنات تنتمي إلى عالم الخلق ... وإرجاع موجودات عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) إلى زمنٍ محدّدٍ يتعلّقُ ببداية وجودها ، هو محاولة لوضعها في معيارٍ لا ينتمي لعالمها أصلاً ، كالذي يُريد معرفة أوزان الأشياء عبر معيار الألوان ..
.. فقولنا .. إن موجودات عالم الأمر (كالروح والقرآن الكريم) مخلوقة ، هو قولٌ مغلوّطٌ حسب معيار صياغة القرآن الكريم ، لأن كلمة (خلق) في القرآن الكريم تعني إيجاد الشيء في عالم الخلق ..

وهذا لا يعني أن موجودات عالم الأمر مستقلة (في إيجادها) عن الذات الإلهية .. أبداً .. إن الله تعالى أوجدها في مرتبةٍ من الوجود ، بكلمة ﴿ كُنْ ﴾ بعد أن لم تكن موجودة ،

وهي خاضعة لربوبية الله تعالى وأفعاله .. فموجودات عالم الأمر متعلقة مباشرة بصفاته
جلّ وعلا ، ومستقلة تماماً عن عالم الخلق المحكوم لقوانين المكان والزمان .. كما بيّنا ..



.. والخلط الذي يمكن أن يحصل في تصوّراتنا حول مراتب الوجود ، هو بين عالم الأمر وبين عالم الوجود المخلوق غير المحسوس .. ولذلك .. سنلخص الفارق بين موجودات عالم الأمر وموجودات عالم الوجود المخلوق غير المحسوس ، حتى نستطيع تصوّر الخط الفاصل بين هذين العالمين ..

1 - موجودات عالم الأمر تتعلّق بصفات الله تعالى ، فلا تحمل إلا الصفات الإيجابية .. بينما موجودات عالم الوجود المخلوق غير المحسوس ، منها من يحمل صفات إيجابية دائمة كالملائكة ، ومنها من يحمل صفات إيجابية وسلبية ، كالأنفس البشرية ، وكعالم الجن ..

2 - موجودات عالم الأمر لا يمكن أن تخضع للزمان والمكان .. بينما موجودات عالم الوجود المخلوق غير المحسوس تخضع للزمان والمكان حينما تُؤطر بالجزئيات الماديّة في عالم المادّة والمكان والزمان ، كحال أنفسنا حينما تكون في أجسامنا ..

3 - موجودات عالم الأمر لا يُطلق عليها اسم الشيء (كما بيّنا في النظرية الثالثة "الحق المطلق" وفي كتاب قصة الوجود) ، شأنها بذلك شأن الذات الإلهية وصفاتها .. بينما موجودات عالم الوجود المخلوق غير المحسوس ، تخضع لصفات الأشياء حينما تُؤطر بقوانين العالم الماديّ ، شأنها بذلك شأن موجودات عالم الوجود المخلوق المحسوس .. ويمكننا أن نُشير إلى بعض التشابه بين موجودات عالم الأمر ، وبين موجودات عالم الوجود المخلوق غير المحسوس حينما تكون خارج إطار عالم المادّة والمكان والزمان ..

1 - كلاهما غير خاضع للمكان والزمان ..

2 - كلاهما لا يتفاعل مع مسألتين متناقضتين في الوقت ذاته ..

.. هذا التفصيل لمراتب الوجود ، والمستنبط من كتاب الله تعالى ، لا بدّ منه كمنظار ننظر من خلاله إلى نصوص كتاب الله تعالى ، حتى ندرك دلالاتها بشكل سليم ..

.. ووُصِف موجودٍ من موجودات عالم الأمر أو مخلوقٍ من مخلوقات عالم الخلق ، بصفة يُوصَف بها الله تعالى ، لا يعني ذلك أن هذا الموجود (أو هذا المخلوق) ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. أبداً .. كلُّ صفة تتبع للموصوف بها ، وثُقاس عليه ..

.. القرآن الكريم كموجود من موجودات عالم الأمر يُوصَف بصفة « **الْمَجِيدُ** » :

﴿ **قَالَ وَالْقُرْآنُ الْمَجِيدُ** ﴾ [ق : 1] .. والله تعالى يُوصَف بهذه الصفة : ﴿ **وَهُوَ**

الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿ **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** ﴾ [البروج : 14 - 15] .. وصفة « **الْمَلِكُ** »

يُوصَف بها رجل : ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِءَ اسْتَخْلِصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ**

الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : 54] .. والله تعالى يُوصَف بذات الصفة : ﴿ **هُوَ**

اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر : 23] ..

.. فهل من الممكن لعاقل أن يتخيّل - مجرد تخيّل - أن القرآن الكريم والرجل المَلِك في

قصة يوسف عليه السلام ، ينتميان لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، بحجة وصف كل منهما

بصفة يُوصَف بها الله تعالى ؟!!! ... موجودات عالم الأمر ومخلوقات عالم الخلق ، تخضع

لأفعال الله تعالى ، وتخضع لربوبيته جلّ وعلا ، وذلك يرد في نصوص صريحة واضحة لا

خلاف في إدراك دلالاتها عند العقلاء .. وهذا ينفي نفيّاً تامّاً انتماءها لمرتبة الذات الإلهية

وصفاتها .. فكلُّ ما يخضع لأفعال الله تعالى ولربوبيته ، هو دون الذات الإلهية وصفاتها ..

.. وهنا .. لا بدّ من تبيان أمر مهمّ ، وهو أن المضاف إلى الله تعالى نوعان :

أ - صفات لا تقوم بأنفسها ، وليس لها كيان مستقل بذاتها : كالكلام ، والسمع ،

والبصر ، والعلم و ، فهذه الصفات إذا أُضيفت لله سبحانه وتعالى ، تكون إضافة

صفة لموصوفٍ بها ، كونها من مرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. فعلم الله تعالى وحياته

وقدرته و هي صفات غير مخلوقة ، وهي قديمة ، وفوق عالمي الأمر والخلق ..

ب - أعيان - من عالمي الأمر والخلق - منفصلة عن الذات الإلهية وصفاتها : كالروح .. والعرش .. والكرسي .. والرسول .. والعبد .. والبيت .. والناقة .. والأرض ..

﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَاللَّعِيفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : 125]

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [النساء : 171]

﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ ﴾ [الأعراف : 73]

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : 29]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم : 30]

﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [الأنبياء : 91]

﴿ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي

زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ

وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : 35]

.. فهذه الأعيان خصَّها الله تعالى بأن أضافها إلى اسمه العظيم ، إضافةً تُبيِّن خصوصية

إيجادها ، وخلقها ، وصنعها واختيارها ، وحبها لها ، فهي تؤدي إلى الله تعالى ، وإلى رؤية

نور منهجه العظيم ..

وكنّا قد بيّنا أن الروح ينتمي لمرتبة عالم الأمر ، ومن المستحيل أن ينتمي لمرتبة الذات

الإلهية وصفاتها ، كونه خضع لأفعال الله تعالى ، إضافة كلمة الروح إلى الله تعالى ، لا

تعني أنه الروح جزء منه حلّ وعلا .. ومن تصوّر ذلك فتصوّره ملوث بمقياس التمثيل ،

الذي تعودّه العقل من صفات المخلوقات التي يقع عليها الحس .. فجميع الأشياء المخلوقة

التي يقع عليها الحس ، مكوّنة من أجزاء ، ويحيط بها المكان والزمان .. وهو يريد فرض تصوّراته الملوّنة بصفات المخلوقات على الخالق سبحانه وتعالى ..

.. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : 171] ، لا يعني أنّ عيسى عليه السلام ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، بحجّة أنّه كلمة الله تعالى : ﴿ وَكَلِمَتُهُ ﴾ .. أبداً ..

.. فكما أنّ كلمة : ﴿ رَسُولُ ﴾ هي خبر لكلمة : ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ ، أيضاً كلمة : ﴿ وَكَلِمَتُهُ ﴾ هي عطف على : ﴿ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ، بمعنى : تحمل خبراً لكلمة : ﴿ الْمَسِيحُ ﴾ .. وهنا نسأل : هل عيسى عليه السلام (ككينونة خاصّة فيه) نابع من ذات الله تعالى ، وينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، وذلك كونه كلمة الله تعالى ، كما يتخيّل التائهون ؟!!! .. أم أنّ المعنى بهذه العبارات القرآنية ، كما بيّنا : أنّ الكلمة النابعة من ذات الله تعالى : ﴿ وَكَلِمَتُهُ ﴾ هي : ﴿ كُنْ ﴾ ، والتي بها خلّق عليه السلام ، شأنه بذلك شأن أيّ موجودٍ في عالم الأمر ، وأيّ مخلوق في عالم الخلق ؟ ..

.. علينا أن نتمييز بين قضاء الله تعالى النابع من ذاته جلّ وعلا بإيجاد عنصر من عالم الأمر ، حيث يوجد بعد تلقّيه لكلمة : ﴿ كُنْ ﴾ : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [مريم : 35] ، حيث النابع من ذات الله تعالى هو كلمة : ﴿ كُنْ ﴾ ، وبين الموجود كعنصر وُجد بعد أن لم يكن موجوداً في عالمه النابع من ذات الله تعالى هو كلمة ﴿ كُنْ ﴾ وليس العنصر الموجود في عالم الأمر ، أو العنصر المخلوق في عالم الخلق ..

.. وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : 171] ، لا يعني أنّ عيسى عليه السلام جزءٌ من الله

تعالى ، ولكن يعني أن هذا الروح مُعطى من الله تعالى ، كما هو الحال في روح آدم عليه السلام : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : 29]

وهذه المسألة ليست مسألة تأويل وتوليف ... إنها حقيقة يبينها القرآن الكريم ، ففهم هذه الآية يكون ضمن الإطار الذي يحيط بجميع الآيات الكريمة التي تصوّر جوانب هذه المسألة ، وهذه الآيات الكريمة تقودنا إلى فهم هذه الآية الكريمة بهذه الصورة ..

.. فعندما يخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم عن أمرٍ بأنه منه ، فلا يعني ذلك أن هذا الأمر هو جزء من ماهية الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، وذلك قياساً على بعض تصوّراتنا المادية ، وإنما يعني أن هذا الأمر يعود في خصوصيته وحرية التصرف به إلى الله تعالى ..

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَبِغَضِبِ

مِنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : 112]

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الحشر : 8]

وحتى في تصوّراتنا المادية المحكومة لقوانين المكان والزمان ، عندما يقول أحدنا للآخر خذ مني هذا الشيء ، فلا يعني ذلك أن هذا الشيء هو جزء من ماهية مُعطيه .. إن ما يعنيه ذلك هو أن هذا الشيء يعود في خصوصيته وملكه وحرية التصرف به إلى المُعطي بدأنا نرى الآن أهمية إدراك حقيقة مراتب الوجود ، وإدراك الفارق بين نوعي الإضافة لله تعالى :

1 - إضافة صفات لا تقوم بأنفسها ، وليس لها كيان مستقل بذاتها : كالكلام ، والسمع ، والبصر ، والعلم و

2 - إضافة أعيان منفصلة عن الذات الإلهية ، من عالمي الأمر والخلق : كالروح ، والعرش ، والنور ، والكرسي ، والعبد ، والرسول ، والبيت ، والناقة ، والأرض مشكلة الجاهلين بمراتب الوجود ، وبضرورة التمييز بين نوعي الإضافة إلى الله تعالى ، أنهم يُسقطون تصوّراتهم وأوهامهم على نصوص كتاب الله تعالى ، فيضِلُّون ويضِلُّون ..

مثلاً : يتوهمون - بناء على تصوّرات وضعيّة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان - أنّ الرّوح هو سرّ الحياة في الجسم ، وأنّه سبب الحياة الجسميّة الماديّة للناس والبهائم ، ثمّ يقومون بإسقاط هذا الفهم الخاطئ على نصوص كتاب الله تعالى ، ليصلوا إلى نتائج ينقضها كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ..

لقد بيّنت في كتاب النظريّة الثانية (القدر) ، أنّ الروح هو الصلة والمدد والقربى من الله تعالى .. مثلاً : قوله تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة : 22]

نرى فيه أنّ العبارة القرآنية ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ تعني وأيدهم بمددٍ منه جلّ وعلا ، وقربهم إليه .. فبعد الإيمان حصلوا على هذا المدد .. فلا يمكن لعاقل أن يتصوّر بأنّ معنى الروح هنا هو سرّ الحياة التي تدخل الجسم فتجعله حيّاً .. مثلاً : في الصورة القرآنيّة :

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل : 2]

نرى أنّ العبارة القرآنية ﴿ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ تعني المدد الإلهي الذي تحمله الملائكة لبعض العباد ﴿ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ، كي ينذروا ويدعوا إلى وحدانية الله تعالى مثلاً : الرُّوحُ .. هو صيغة مصدر للجذر (ر ، و ، ح) ، وصيغة المصدر شاملة كما نعم ، وهذا المعنى للمصدر يتجلّى أمام أعيننا في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْيِسُوا مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنَ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾

[يوسف : 87]

.. العبارة ﴿ رُوحِ اللَّهِ ﴾ تعني صلة الله تعالى ومدده والقربى منه .. ولا يمكن لعقل أن يتخيل بأن معنى الرُّوح هو سرّ الحياة في الجسم .. وضمن هذا الإطار من المعنى تُفهم دلالات كلمة ﴿ فَرُوحٌ ﴾ في الصورة القرآنية التالية ..

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة : 88 -

[89

.. وجبريل عليه السلام ، هو الصلة الأمانة بين الله تعالى وعباده ، وبالتالي يُوصف بالروح الأمين ..

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء : 193 -

[194

.. وكلُّ مولود يولد على الفطرة النقيّة الطاهرة .. هذه الفطرة هي الروح الذي ينفخه الله تعالى في هذا المولود ، بعد تسويته إنساناً كاملاً ..

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ

مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة : 7 - 9]

.. ونفخ الروح في آدم عليه السلام كان بعد تسويته إنساناً كاملاً ، ولا يعني نفخُ

الروح فيه إعطائه سرّ الحياة في جسمه ، كما يتصوّر الكثيرون ..

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا ۖ مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا

سَوَّيْتُهُ ۖ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : 28 - 29]

.. العبارة ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا ﴾ تعني سوف أخلق بشراً ، والبشر هو نفس وجسم ، أي هو إنسان كامل : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف : 110] ، والعبارة القرآنية : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾ ، تعني : أتممت وأكملت خلقه كبشر من نفس وجسم ، كإنسانٍ كامل .. وتأتي العبارة القرآنية : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ لتعني : وأعطيته مدداً منِّي وصلةً وقربته إلي ..

.. الروح هو الصلة مع الله تعالى ، والقربى منه ، والمدد الذي يحصل عليه المؤمنون نتيجة صدقهم وإخلاصهم لله تعالى .. وبالتالي فالكافر يفقد هذا الروح حتى الذي نُفخ فيه عند ولادته ، نتيجة ابتعاده عن صراط الله تعالى ..

﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف : 87]

.. هذا المعنى للروح يجمله الجاهلون ، فيحسبون أنه سرُّ الحياة والوجود ، ويجهلون أن إضافته لله تعالى هي من نوع إضافة الأعيان المنفصلة عن الذات الإلهية ، ويتعامون عن كون الروح المضاف لله تعالى قد خضع للأفعال وأن هذا ينفي كونه منتمياً لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها :

﴿ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم :

17] ..

.. هل من الممكن لعاقل أن يتخيّل [حتى في حال فرض أن الروح يعني سرُّ الحياة في الذات] أن الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً قد أرسل سرُّ حياته لمريم عليها السلام ، وبقي دون هذا السر ؟!!!!!! .. حتى دون إدراك معنى الروح ودون إدراك التمييز بين إضافة الصفات لله تعالى وبين إضافة الأعيان المنفصلة ، حتى دون ذلك ، كيف لعاقل أن يتخيّل بأن الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً يُرسل سرُّ حياته وسرُّ وجوده ، وأن هذا السرُّ يتمثل في عالمنا المادّي المخلوق بشراً سويّاً ؟!!!!!! .. كيف ؟!!!!!! ..

.. ألم يقل تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11]

أليست كلمة ﴿ كَمِثْلِهِ ﴾ تعني مثل مثله ؟ .. أليس البشر شيئاً ؟ .. كيف إذاً سيتمثل سرُّ ذات الله تعالى وحياته بشراً سوياً كما يتوهم الضالون ؟!!! .. وهل ذات الله تعالى وصفاته تخضع لأفعاله كفعل الإرسال ؟!!! ..
.. وما ينطبق على الروح كإضافة لله تعالى ، ينطبق على النور .. فالنور اسم صفة لكتاب الله تعالى :

﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : 157]

﴿ فَكَاثِرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالنُّورَ الَّذِي أُنزِلْنَا ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن: 8]

.. ما نراه أن ﴿ النُّور ﴾ كصفة لكتاب الله تعالى خضع لفعل الإنزال ، وهذا وحده يكفي للقول بأن النور ليس صفةً لله تعالى ، بمعنى لا ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ..
ومما يؤكد ذلك هو قوله تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : 1]

.. فما نراه أن الله تعالى يعطف العبارة : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ على العبارة :

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ .. فالنور جعله الله تعالى ، بعد أن لم يكن مجعولاً ، وهذا

ينفي نفياً قاطعاً انتماءه لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ..

.. ومما يؤكد أن إضافة النور إلى الله تعالى ﴿ نُورِهِ ﴾ ، هي من صنف إضافة الأعيان

المنفصلة عن الذات الإلهية ، هو تمثيله لنا بأشياء حسية :

﴿ * اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور : 35]

.. الله تعالى يصف ذاته بالعبارة ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : 11] ، بمعنى لا يمكن تمثيل ذات الله تعالى وصفاته بأي شيء من عالمنا المخلوق .. وبالتالي فتمثيل نور الله تعالى بأشياء حسية : ﴿ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ يعني أن النور لا ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها فكلمة (النور) لم ترد - في كتاب الله تعالى - صفة لله تعالى ، ولا مرة ، كورود

الأسماء : الرحمن ، الرحيم ، السميع ، البصير ، ، والعبارة : ﴿ * اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا تعني أن (النور) اسم صفة لله تعالى .. أبداً .. فورود كلمة ﴿ نُورٌ ﴾ كخبر لكلمة ﴿ اللهُ ﴾ وبحيث يُضاف هذا الخبر ﴿ نُورٌ ﴾ للمضاف إليه ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، لا يعني - ذلك - أن (النور) صفة لله تعالى .. أبداً .. فهل صفات الله تعالى تُضاف لمخلوقاته لكي تُعرَّف ؟!!!!!! .. أليست كلمة ﴿ نُورٌ ﴾ تُضاف لعالم الخلق : ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : ﴿ * اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ؟ .. فكيف لعاقل أن يتخيل بأن صفات الله تعالى بحاجة لأن تُضاف لمخلوقاته لكي تُعرَّف ؟!!!!!! ..

.. هل من الممكن لعاقل أن يقول بأن (المخزي) صفة لله تعالى ، محتجاً على قوله هذا بأن كلمة : ﴿ مُخْزِي ﴾ هي خبر لكلمة : ﴿ اللهُ ﴾ : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾

[النور : 35] ، وهو يرى بعينه أن كلمة : ﴿مُخْزِي﴾ تُضاف ل ﴿الْكَافِرِينَ﴾ لكي تُعرَّف : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ ؟!!!!!! ... وهل من الممكن لعقل أن يقول بأن كلمة (الموهن) صفة لله تعالى ، محتجاً على قوله هذا بأن كلمة : ﴿مُوهِنُ﴾ هي خبر لكلمة : ﴿اللَّهِ﴾ : ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال : 18] ، وهو يرى أن كلمة : ﴿مُوهِنُ﴾ تُضاف ل ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ لكي تُعرَّف : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ ؟!!!! ..

.. أسماء الصفات لله تعالى ، لا بد أن تكون موجودة في كتاب الله تعالى ، وبأل التعريف ... وبسبب غفلة بعض السابقين عن ذلك ، فقد تمّ الإعراض عن بعض أسماء الصفات لله تعالى ، مثل الصفات : [﴿الْقَدِيرُ﴾ ، ، ﴿الْقَاهِرُ﴾ ، ، ﴿الْمَوْلَى﴾ ، ، ﴿النَّصِيرُ﴾ ، ، ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ ، ، ﴿الْأَكْرَمُ﴾] ..

﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم : 54]

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : 18]

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ ۚ نِعَمَ الْمَوْلٰى وَنِعَمَ النَّصِيْرِ ﴾ [الأنفال : 40]

﴿ وَاللّٰهُ الْمُسْتَعٰنُ عَلٰى مَا تَصِفُوْنَ ﴾ [يوسف : 18]

﴿ اَقْرٰٓءُ وَرَبِّكَ الْاَكْرَمُ ﴿١٠﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿١١﴾ عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق :

[3 - 5]

.. وبالمقابل فقد وُضعت كلمات على أنّها صفات لله تعالى ، وهي لا وجود لها في كتاب الله تعالى ، مثل : الضار ، الجليل ، العدل ، الرشيد ، المنتقم ،

.. قولنا بأن القرآن الكريم كلامُ الله تعالى وقولُه ، لا يعني أنَّه ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها .. أبداً .. فكيف لما ينتمي للذات الإلهية وصفاتها أن يكون خاضعاً لأفعال الله تعالى ولربوبيته ... كلام الله تعالى (وقوله) النابع من ذاته ، هو لإيجاد كينونة خاصة تنتمي لعالم الأمر ، هي القرآن الكريم ، حيث يتميز القرآن الكريم بانتمائه (ككينونة خاصة فيه) لعالم الأمر ..

من يتوهم أن القرآن الكريم ككينونة خاصة فيه ، ينتمي لمرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، يجهل كون وهمه هذا يتعارض مع كون القرآن الكريم خضع ويخضع لأفعال الله تعالى ولربوبيته ، ويجهل أن أفعال الله تعالى تنتج عن مرتبة الذات الإلهية وصفاتها ، لا العكس ، ويجهل أن قوله هذا يؤدي إلى كون مرتبة الذات الإلهية وصفاتها حادثة ، كونها - حسب جهله وما يتوهمه - خاضعة لأفعال الله تعالى ، أو يؤدي إلى كون المخلوقات (كعيسى عليه السلام من عالم الخلق) والموجودات (كالروح الأمين من عالم الأمر) قديمة ومستقلة في وجودها عن الله تعالى .. وفي الحالتين .. هو في كارثة عقديّة ، ينقضها كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً ..

.. الغوص في أعماق نصوص كتاب الله تعالى ، وخصوصاً في المسائل العميقة ، يحتاج للتجرّد ، ولالإدراك السليم لقواعد اللغة ، وللسير في السبيل الذي ترسمه لنا دلالات النصوص وليس في سبيل الأهواء .. وإلاً .. فالنتيجة هي ضلال وإضلال ..

﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : 29]